

نماذج المجتمع المسلم



١- خصائص المجتمع المسلم في القرآن:

أ - الوسيط^wة :

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة / 143).

أُمّة الإسلام أُمّة الاعتدال والتوازن، والمجتمع الإسلامي مجتمع الوسطية، وقد أهَلت هذه السمة المجتمع المسلم أن يكون (حجّة) و(معاييرًا) : حجّة على الأُمم المتطرّفة، ومعياراً يُرجع إليه في معرفة ما هو الاعتدال وما هو التطرف.

والشهادة في الآية شهادتان: شهادة الأُمّة المتساوية في توسّطها على سائر الأُمم، وشهادة النبي ﷺ على أُمّته في ضبط حركة سيرها لـ”لا تشذ“ أو تسطّع عن التوسيط في مركزيّتها. وبذلك يمكن ضمان وسطيّة المجتمع الإسلامي ذاتياً وموضوعياً، كما يمكن محاكمة الأُمم المغالية في تطرّفها بالنماذج الإسلامي الذي ينبع التطرف بكلٍّ أشكاله، ويعتمد الوسطيّة في شتّى مناحي الحياة. قال سبحانه: (وَجَاهَدُوا فِي اللّٰهِ حَقًّا جَهَادًا هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَّا تَرَكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَفِي هَذَا لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللّٰهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الحج/ 78).

ب- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرًا أُمّةً أُخْرَجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاكُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَلَا وَآمَنَ أَهْلُ الْكِتَابَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران/ 110).

الأُمّة المسلمة خير الأُمم، لأنّها أنسٌ الناس للناس، فالإخراج بما ينطوي على إرادة ربّانية كان لأجل الإنسانية ورفدًا لمصلحتها، ووجه الخيرية في أُمّة الإسلام هو الإيمان العمليٌّ ممثلاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حين كانت الأُمم السابقة لا تتناهى عن منكر فعلته، ولا تندفع إلى المعروف تأخذ به.

ت- الاستقامة:

قال تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَنُوا إِلَيَ الْذِينَ طَائِمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ أَوْلَيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ) (هود/ 112-113).

الاستقامة هنا ليست منفصلة عن خطٍ الوسطيّة لجهة ثباتها على الاعتدال والتوازن بقرينة قوله سبحانه: (وَلَا تَطْغَوْ) و(وَلَا تَرْكَنُوا).

كما أنها ليست منفكّة عن الأمر بالمعروف والذّهي عن المنكر في عرضهما من المحافظة على استقامة الحياة في الدعوة إلى ما يُنميّ بها ويُطويها من الأمر بالمعروف، وما يُنفيّ بها ويُخليها من التلوّث والشوائب والمجاودات في النهي عن المنكر.

ولا تكون استقامة المجتمع ما إِلا باستقامة قيادته، ولذلك جاء النداء بالاستقامة موجّهاً للاثنين معاً: القيادة والقاعدة، بأن لا يتجاوزا حدود إِيمانٍ أو تحفّظٍ أو طغيانٍ أو تطرّفٍ أو ميلٍ لانحراف نحو الظّلم.

ثـ. الوفاء بالعهود والعقود والمواثيق:

قال تعالى: (يَمَا أَيْسَرْهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْ فُوا بِالْعُهُودِ أُحْلِتَنَّ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَزْعَامِ إِلَّا مَا يُنْذَلِي عَلَيْكُمْ غَيْرُهُ مُحْلِلٌ يَصْبِدُ وَأَرْتَدُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَمَا أَيْسَرْهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلِلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدَى وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمَّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْدُلُونَ فَهُمْ لَا مِنْ رَبِّهِمْ وَرَضُوا إِذَا حَلَّتِ الْمُنْذِرُ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْزِرُ مَنْ كُمْ شَدَّانُ قَوْمٌ أَنْ صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدُوِّ وَانْ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * حُرُمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْذِرَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُمْتَدَرَّدَيَةُ وَالْذَّطِيقَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبَدُعُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ وَمَا ذُبْرَجَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِيَنِكُمْ فَلَا تَخْشُو هُمْ وَآخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا فَمَنْ اضطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرُهُ مُتَاجِرٌ فَإِنَّ اللَّهَ غَافُورٌ رَّحِيمٌ) (المائدة/ 1-3).

مizza المجتمع المسلم أنّه يفي بكلّ عقد وعهد بينه وبين ربّه، وبينه وبين سائر الناس والأمم، أي إِذْه إذا وعدَ وفى، وإذا آمنَ بصدقِ أخذَ بما فُرضَ عليه في الكتاب من تكاليف وأحكام ومسؤوليات، وعرف حدّه ووقف عنده، فلا يستحلّ حرمات إِيمانٍ ولا يتعدّى حدوده، أي شرائعه التي حدّها ورسمها لعباده، ولا يستحلّ قتال القاصدين إلى بيت الله، ولا يحمله بغضّ قوم كانوا قد صدّوهم عن المسجد الحرام أن يُقاولوا ذلك بالاعتداء عليهم، وهو مجتمع التعاون على البرّ والتقوى والخيرات

والإصلاح والإحسان، ونبذ المفاسد والشروع والمنكرات.

سمة المجتمع الإسلامي أنّه مجتمع رباني يستمدّ حقيقة وجوده، وزخم حركته، ونبل مقاصده من هدفه الأعلى وهو الله تبارك وتعالى.

جـ- الهجرة والجهاد:

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (البقرة / 218).

إنّ من بين سمات المجتمع الإسلامي أنّه إذا صارت عليه الأرض في مساحة أو بقعة أو قطر، هاجر إلى مساحة أوسع ومحال أرحب، يُمارس فيما دينه وطقوسه ودعوته إلى الله، وينطلق منها لجهاد أعدائه الذين نفوه من دياره أو كانوا سبباً في إقصائه وتشريده، ولذلك فالترابط بين (الهجرة) وبين (الجهاد) وثيق، فليست دار الهجرة دار سياحة واستراحة وسكن واستجمام، بل هي محطة للتزوّد بالوقود ريثما تحين فرصة مقارعة العدوّ وكسر شوكته وإعلاء كلمة الله في الأرض.

ولذلك كانت لهجة المسلمين مختلفة تماماً في خطابهم لنبيّهم (ص)، ففي حين قال بنو إسرائيل لموسى (ع): إذهبْ أنتَ وربّكَ فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، قال المسلمون للرسول (ص): إذهبْ أنتَ وربّكَ فقاتلا إنا معكم مُقا تلون.

إنّ أبناء المجتمع المسلم يعرفون أنّ ثمّة ضرائب إيمانية يتبعين عليهم دفعها بالهجرة ومفارقة الأهل والأوطان من أجل الدين، وبالجهاد والتضحية من أجل الدين، أي أنّ دين المسلم أثمنّ لديه من حياته.

حـ- التوافر على المزايا والفضائل والخصائص العُليا:

قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَدُهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكُّوعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرَضُوا إِنَّمَا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ

بِعُجَّبٍ الْرُّرَّاعَ لِيَغْرِيْطَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا
الصَّالِحَاتِ مَنْهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (الفتح/ 29).

القيادة في المجتمع الإسلامي والقاعدة من سخ واحد: أبرار، أخيار، متراحمون فيما بينهم، متعاونون، متكافئون، متضامنون، بعضهم أولياء بعض، يُظهرن لهم خالق نهج الله ودينه غلطة وشدّة وصلابة، يركعون ويسجدون في كثرة صيام وقيام، لأنّهم يرون أنّ المواجهة مع المصاعب والمتعصّب بين تحتاج إلى شحن نفسي وروحي، وإلى شحذ للهمم في جنبات الميدان، ولذلك يصدق عليهم أنّهم (رهبان) في اللّيل (فرسان) في النهار، ولهم نظراً في التاريخ رصدتهم التوراة والإنجيل في الولاية والنّصرة لدينه، ولم يخلو تاريخ الرّسالات من نماذج مشترفة قادت مجتمعاتها إلى سواحل العزة والانعتاق.

إِنَّهُمْ (عباد الرّحمن) الذين استحقّوا أن يُنسبوا إليه، فقال في صفتهم:

(وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنَا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبْيَتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجْدَةً وَقِيَامًا *
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبِّنَا اصْرَفْ عَنْنَا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرْرًا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَزْفَقُوا لَهُمْ
يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُلُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فَوَامِا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ
اللَّهِ إِلَهَآ أَخْرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا
يَنْزُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثْرَامًا * يُصَاعِفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَاجِرًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمَلَ عَمَلاً صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَدَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا *
وَمَنْ تَابَ وَعَمَلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابَةً * وَالَّذِينَ لَا
يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا
ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهِمَا صُمْمًا وَعُمُّيَازًا * وَالَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبِّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرْرَيْسَاتِنَا فُرْرَةَ أَعْيُنِ
وَاجْعَلْنَا لِتَمْذِيقِيْنَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا
وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحْيِيَةً وَسَلامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسْنَاتِ مُسْتَقَرْرًا وَمُقَامًا)
(الفرقان/ 63-76).

إِنَّهُمْ مجتمع (عباد الرّحمن)، المجتمع صالح الذي يمشي أبناؤه بوقار وتواضع فلا يختالون ولا يتباخرون، وإذا خاطبهم السّفهاء بغلطة وجفاء ردّوا بلطف وسماحة، وإن جهل عليهم الجاهل حلموا وترفعوا، وتراهم بحيون لي لهم بالصلة والتقرّب إلى الله، فهم يطیعونه بالليل في العبادة، ويطیعونه في النهار بخدمة العباد، ومع ذلك فهم يعملون الصالحات وهم على وجل من النار ويبتهلون إلى الله بدفعها عنهم، وهم يُنفقون باعتدال فلا إسراف ولا تبذير ولا تضييق وتقصیر، إِنَّهُمْ عباد الله المخلصون الذين لا يقتلون النفس التي حرّمها الله إلا بالحقّ، ولا يزنون بعد إحسان، أي بعد أن أمن لهم سبحانه سُبُل الزواج ليعصموا به أنفسهم، ولا يشهدون الشهادة الباطلة التي يضيع فيها وتُهدر الحقوق، وإذا مرّوا بمجالس اللّغو وأماكن ارتكاب القبيح تنزّهوا ومرّوا مع عرضين مكرمين أنفسهم عن أن يخوضوا مع الخائفين. وإذا ما وُعظُوا بأيات الله وذُوّروا بها، استمعوا إليها بإصغاء وبنفسية منفتحة، وهم في دعاء موصول بأن يهفهم الله أزواجاً وبنين صالحين يجعلهم قدوة صالحة للملائكة من الهداة والمتّقين.

2- المجتمع المسلم صالح كما تصوّره (سورة الحُجّرات):

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَأْيَنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْكَعُوا أَصْدُوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَرْجِهِرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَاهِرٍ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَرْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُصُّونَ أَصْدُوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهَ قُلْتُ وَبَاهُمْ لِلْتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَذَّادُونَكَمِنْ وَرَاءِ الْحُجُّرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسْقُ فَنَبَّأْيَنَ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِرَجَاهِالآتِ فَتَمْبَحُوا عَلَيْمَا فَعَلَتُمْ زَادَمِينَ * وَاعْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوْ بُطِّلَعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنَتُّهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمَانَ وَرَأَيْتُهُ فِي قُلْتُوبِكُمْ وَكَرِّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَهُلَا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةٌ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِنْ طَائِفَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلَتُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ

إِنْدَاهُمَا عَلَى الْأَخْرَى فَقَاتَلُوا إِلَهَيْهِ تَبَغْشِي حَتَّى تَفْسِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ
 فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ لَعْنَكُمْ تُرْهِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ
 عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا
 مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنْهَا بَرَائِفَاتِهِ بِئْسَ الاسمُ الْفُسُوقُ
 بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَبَعِ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثْيِرًا مِّنَ الطَّنَّ إِنَّ بَعْضَهُنَّ إِثْمٌ وَلَا تَجْسَسُوا وَلَا
 يَغْتَبُوا بَعْضُهُمُ الْأَيْمَانُ أَيْحَبُّ أَكْلُ لَحْمٍ أَخْيَهُ مَيْتَانُ
 فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 إِنَّمَا خَلَقْتُمُوهُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْتُمُوهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعْمَلَ فُوْدا
 إِنَّمَا أَكْرَمْتُمُوهُمْ عِنْدَ الْأَنْوَارِ أَتَقَاتَلُوكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ الْحِلْمُ * قَالَتِ
 الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُولًّا لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ
 الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولُهُ لَا يَأْتِيَكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأِ تَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * قُولًّا أَتَعَلَّمُ مُؤْمِنَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ
 يَعْلَمُكَ أَنْ أَسْلَمْنَا قُولًّا لَا تَمُنُّوا عَلَيْهِ إِسْلَامَكُمْ بَلْ اللَّهُ يَعْلَمُ عَلَيْكُمْ
 أَنْ هَدَاكُمْ لِإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْرَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِصَرِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحجرات/ 18-1).

لابد من الإشارة في البداية إلى أن سورة الحجرات ترصد إيقاع العلاقات والآداب الاجتماعية التي تحكم المجتمع الصالح سواء في علاقته بما وبرسوله أو في العلاقات الداخلية بين المسلمين أنفسهم، وقد قيل إنها تُركَّز قواعد الاستقرار الاجتماعي من خلال المبادئ الأخلاقية التي تحكم الواقع، وتتحرّك العلاقات ضمنها.

وعلى الرّغم من أنّنا سنفرد حديثاً خاصاً عن آداب المجتمع الصالح، لكن التوقف هنا عند سورة الحجرات ليس توقّفاً أخلاقياً فقط، بل هو تلمُّس لحركة العلاقة بين كل الدوائر الاجتماعية المشار إليها، ومن جميل ما أشار إليه بعض المفسّرين في استهلال السورة أنّها تشير إلى الحسّ التربوي

في المجتمع الإسلامي على اختلاف أوضاعه، على صعيد الحياة والإنسان، ليتفاعل الإيمان مع الواقع في عملية تزواج روحي وعملي يتحول فيه الإسلام إلى موقف.

-
تُحدّد سورة الحجرات أدب وأسلوب التعامل مع الله ورسوله، باحترامهما عند المخاطبة، وأن لا يتقدّم المجتمع المسلم بافتراضاته على الله ورسوله، فهما يتحرّكان ضمن برنامج دقيق لا يغفل عن تغطية حاجات المجتمع الصالح في مختلف الجوانب والاتجاهات.

وتدعو إلى وجوب التثبت من شخصية المُخْبِر، وطبيعة الخبر قبل إصدار الحكم، وأن لا يقف المسلمون من موقف الصّرّاع بين طائفتين من المسلمين موقف المتفرّج، بل يتبعين عليهما فضّل الذّراع بالإصلاح والأساليب الدّبلوماسية الحكيمة، وأن يُقاتلوا الفئة التي تصرّ وتستكبر وتبتغي على الأخرى.

وتنهى عن أن يسخر بعض المسلمين من بعضهم الآخر مهما كانت دوافع السخرية، مما يدرّيهم لعلّ الذين يسخرون منهم هم أقرب عند الله منهم، وتنهى كذلك عن التعبير بالألفاظ المُخجلة، وتدعو إلى اجتناب الكثير من سوء الظنّ، لأنّه يدعو إلى التجسس، وهذا بدوره يقود إلى الاغتياب وتشويه صورة الإنسان المسلم في نظر الآخرين.

وسورة (الحجرات) تدعو المسلمين إلى أن يعيشوا الانفتاح على التنوّع البشريّ فيما قسم الله الناس إليه من شعوب وقبائل، ليكون ذلك أساساً للتعارف والتفاعل والتداول الثقافي والعلمي والحضاري، بدلاً من أن يكون سبباً للذّراع والاحترب والعصبية، وأن يؤكّدوا الإيمان كعمق للإسلام الذي ينتمي إليه المسلمين الذين يرون في الإسلام نعمة من الله عليهم لا منّةٌ منهم على رسوله.

وباختصار، فإنّ سورة الحجرات بمضامينها الإدارية والتربوية والأخلاقية والعلاقاتية، تمثّل صورة المجتمع الإيماني الصالح، مجتمع الأخوة والتأخي. ▶